رحلة الحج

ذكريات .. ومشاهدات

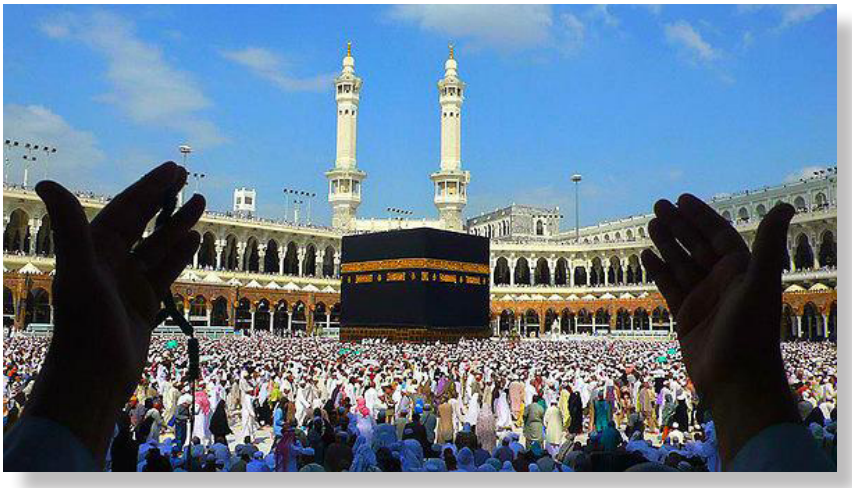

د. عبد الوهاب بن ناصر الطريري

@altriri

تصميم

Tharwat Sultan

00201019530152

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة الحج

(ذكريات .. ومشاهدات)

﴿ ١ ﴾ هذه سلسلة تغريداتٍ أروي فيها ذكريات الحج، وشيئًا من مشاهده، لا سيما حَجتي الأولى.

﴿ ٢ ﴾ أتذكر أول حجة حججتُها، أتذكر كل تفاصيلها: الدهشة الأولى، والاحتشاد الأول للمشاعر، والذي يظل حاضرًا ويقظًا في الوجدان لا يخبو.

﴿ ٣ ﴾ لم تكن حملات الحج الداخلية قد تنظَّمت حينها، وإنما كان الناس يحجُّون رفقةً يأتون بخيامهم وحاجاتهم.

﴿ ٤ ﴾ حججتُ وحدي بلا رفقة، وهذا ساعدني على الاستغراق فيما أنا فيه والانجماع لما قصدتُ إليه، ولم يتفرق همي بالحديث مع رفيق أو انتظاره أو البحث عنه.

﴿ ٥ ﴾ لذة التلبية الأولى بالحج وعمقها في النفس، وابتهاج الذين يلبُّون في الحافلة وكثير منهم مثلي يحجون أول مرة، تلذُّذهم بلبس الإحرام مشهدٌ لا ينسى.

﴿٦﴾ أحرمتُ متمتعـًا، وكان في النفس تشوُّف واقتدار على تطبيق السُنة والأخذ بالعزائم، وكان لرؤية الكعبة دهشةٌ، ولرؤية حشد الطائفين حولها جلالٌ وهيبة.

﴿٧﴾ في الطريق إلى منى يوم التروية ركب الحافلة معنا شيخ بشوش، صافح كل من حوله بودّ، وكنت بجانبه فقال لي: معك أحد؟ قلت: لا. قال: تكون خويي (صاحبي)؟ قلت: أبشر.

﴿٨﴾ كانت صحبتي لهذا الرجل خيراً لي فقد كان لي المرشد والمؤنس في أيام الحج، ثم فقدتُه آخر يوم من أيام الحج، وكانت لوعة أني لم أودعه وأقبِّل يده ورأسه ثم انقطعت أخباره عني، فليت بعض من يقرأ كلامي هذا يفيدني عنه (العم سالم الزهراني أبو جعفر) كان يعمل عام ١٤٠٠هـ في معهد الباحة العلمي.

﴿٩﴾ قضيتُ أصيل عرفة على حافة الموقف بانتظار الغروب، وكان مشهد ضراعة الناس وهم يسارعون لحظات اليوم الأخيرة مشهداً مؤثراً شديد الوقع على من يراه.

﴿١٠﴾ لم نشعر بالغروب إلا عندما ثار الغبار في عنان السماء بسبب انطلاق الناس، واندفع الناس في طريق المشاة سراعـًا لا يلوون على شيء، رأيتُ مشهدًا من مشاهد يوم القيامة.

﴿١١﴾ كلما تذكرت ذاك المشهد وانطلاق الناس مشاةً شبه عراة، حاسري الرؤوس، يسيرون سراعـًا، كأني أرى مشهداً من مشاهد الآخرة، وكأنَّا في يوم البعث.

﴿١٢﴾ حججتُ بعد ذلك مرات أحاول أن أستعيد ذاك المشهد وذاك الإحساس وتلك المشاعر، ولكنْ كانت اللهفة الأولى شيئًا آخر.

﴿١٣﴾ من عرفة إلى مزدلفة سلكتُ أنا وصاحبي طريق المشاة، ولم نشعر فيه بالتعب لأنك حيث التفتَّ رأيتَ الناس يسيرون أمامك كأنهم سيل العرم.

﴿١٤﴾ في الطريق إلى مزدلفة رأيت حجاجًا يحملون في أيديهم نعالاً وكنت أظن أنهم يريدون أن يلبسوها، فقال العم سالم: إنهم يحملونها ليرموا بها الشيطان!!

﴿١٥﴾ مع أني درستُ العلم الشرعي وجلستُ إلى الأشياخ وقرأت المناسك، فقد كان مرشدي في الحج العم سالم، رجل عامي، لكنْ سبق له الحج مرارًا، إنه الفرق بين النظرية والخبرة.

﴿١٦﴾ في مزدلفة جمعتُ حصى الجمار، وكانت جلاميد ملأ الأكف، لو رميتُ بواحدة منها رأس ثور لهشمته! فلما رآها العم سالم ضحك وأراني بِمَ يكون الرمي.

﴿١٧﴾ قضيت أيام مني في مصلى مخيم الدعوة، وكان مخيماً بارزاً على طريق المشاة، وقعتُ فيه اتفاقاً لا قصداً، فأشار عليَّ صاحبي بالمقام وكان نعم المقام.

﴿١٨﴾ كان الناس في منى في خيامٍ ليس فيها من وسائل التهوية إلا مهفَّات السعف، أما المكيفات فما كنا نراها إلا في الدوائر الحكومية.

﴿١٩﴾ كان مخيم الدعوة عامرًا من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، ما بين محاضرة وندوة وإفتاء، والمشرف عليه الشيخ جابر مدخلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿٢٠﴾ كنتُ شابًا قليل العلائق أجلس في مخيم الدعوة أستمع وأستفيد، ثم صرتُ ألزم مخيم الشيخ ابن باز بعد ذلك وأكتفي به، ومن قصد البحر استقل السواقيا.

﴿٢١﴾ كان الإمام في مخيم الدعوة: الشيخ صالح الفوزان أو الشيخ محمد بن عثيمين، وكان في المخيم جمعٌ من المشايخ كالشيخ عبد العزيز الداود.

﴿ ٢٢ ﴾ وكان في المخيم أيضًا عدد من المشايخ كالشيخ صالح الأطرم والشيخ عبد الرحمن الدرويش والشيخ عبد الله الزايد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعًا.

﴿ ٢٣ ﴾ ممن كان له حضور في الإفتاء شيخنا الشيخ صالح العلي الناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو فقيه حنبلي متمكن.

﴿ ٢٤ ﴾ كنت ألحظ تفاوت المفتين في فتاواهم تشديدًا وتيسيرًا، ولم أرَ أوسع في التيسير من الشيخ بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ ٢٥ ﴾ وكما لاحظت تفاوت المفتين تشديدًا وتيسيرًا، لاحظت تفاوتهم في احتمال الناس والصبر عليهم، فمنهم من تنفد طاقته النفسية سريعًا فيضيق خلقه بالإلحاح والاستفصال.

﴿ ٢٦ ﴾ ومنهم من وهبه الله نفسًا رضية، وخلقًا واسعًا، لا تكاد تفرق بين إجابته لأول سؤال وآخر سؤال، ومن هؤلاء: ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين.

﴿٢٧﴾ زارنا في المخيم عبد رب الرسول سياف والشيخ يونس خالص، وألقيا كلمةً عن الجهاد الأفغاني، وكان التأثير الأكبر لكلمة يونس خالص على بساطة تعبيره. فعشنا ذلك اليوم بل تلك السنة تأثير ذلك المشهد.

﴿٢٨﴾ يا الله .. من كان يظن أن بساط تلك الدماء والتضحيات والمشاعر والآمال، سيطوى على ما انتهت إليه الحال اليوم هناك؟

﴿٢٩﴾ جاء وفد من مسلمي أمريكا في زيارةٍ إلى مخيم الدعوة فكان المتحدث إليهم الشيخ جعفر شيخ إدريس. تحدث إليهم بالإنجليزية حديثًا مختصرًا لاحظتُ انتباههم له وتفاعلهم معه.

﴿٣٠﴾ ومن حسن صنيع الشيخ أنه ترجم لنا خلاصة كلمته، ومما قال فيها وهو يبين قبح أمر الشرك بالله: مثل ذلك مثل من أنقذ شخصًا من هلكة، ثم أحسن إليه، فلما تلقَّى هذا كله ذهب ذلك الشخص إلى إنسان آخر في الطريق، فجعل يقدم له الشكر على ذلك.

﴿ ٣١ ﴾ وكنت فهمت معنى ذلك الكلام والشيخ يلقيه، ولاحظت تفاعلهم مع هذا التوضيح واستيعابهم له.

﴿ ٣٢ ﴾ كان من أجود ما أكتسبته في رحلات الحج: لقيا العلماء، وقرب الوصول لهم، فقد لقيت علماء لم يكن إلى لقاهم في غير هذا الموسم من سبيل.

﴿ ٣٣ ﴾ من الأشياخ الذين رأيتهم في الحج فقط: الشيخ الألباني والشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، والشيخ صلاح أبو إسماعيل. والشيخ يونس خالص، والشيخ محمد جميل غازي، والشيخ نسيب الرفاعي، والشيخ بخاري عبده والشيخ أبو بدر المطوع، وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

﴿ ٣٤ ﴾ وهناك من كنت ألقاهم في الحج وغيره ولكن كان للقائي بهم في الحج ميزةٌ خاصة كالشيخ ابن باز وابن عثيمين وعبد الرزاق عفيفي وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

﴿٣٥﴾ وكان في اللقاء بهم مواقف ولطائف، هي المكسب والثمرة، وهذا ما سيكون موضوع التغريدات القادمة بإذن الله .

﴿٣٦﴾ استتم في هذه التغريدات المتتابعة شجون الحديث عن الحج، وفيها الحديث عن من لقيتُ من الأشياخ في موسم الحج.

﴿٣٧﴾ في الحج كان لي اللقاء الأول مع الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي هذا اللقاء أجازني بمروياته ومؤلفاته وهي أول إجازة أخذتُها.

﴿٣٨﴾ لقيته وقد كبر وأخذه رعاش في اليد، ولكنه كان حاضر العلم يقظ الذهن وكانت تفِد إليه وفود من طلبة العلم، وممن رأيته عنده طلبة علم من الأحساء.

﴿٣٩﴾ وعجبت حينها من علم الشيخ بالمخطوطات وما لم يطبع من الكتب، وعلق بذهني كلامه عن حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)، ورسالة ابن عقدة في طرقه.

﴿٤٠﴾ لقيت الشيخ الغماري في اليوم السابع وكان قد فرغ من ذبح الهدي فسألته كيف ذَبَح الهدي قبل العيد؟ قال: قد بلغ الهدي محله.

﴿٤١﴾ وكان يرى جواز ذبح هدي التمتع قبل يوم العيد كما هو مذهب الشافعي وأن هذا أرفق بالحجاج، وهو رأي شيخنا عبد الله بن منيع وله فيه رسالة.

﴿٤٢﴾ فلما ذهبتُ يوم العيد إلى المنحر، فإذا الذبائح مركومة تجرفها الجرافات إلى هاوية سحيقة ثم تطمر بعد ذلك، ومنها ما يذهب إلى المحرقة.

﴿٤٣﴾ فعلمت أن هذا القول مهما قيل فيه فهو خير من أن تؤخر إلى يوم العيد ثم تنحر وتطمر، فلم يشرع الله الهدي لإطعام الأرض، ولكن لإطعام القانع والمعتر.

﴿٤٤﴾ ثم يسر الله الآن إرسالها إلى مواضع الحاجات والعوز في أمصار المسلمين فحلَّت جزءاً من الأزمة بحمد الله.

﴿٤٥﴾ صورة الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى عام ١٤١٣هـ

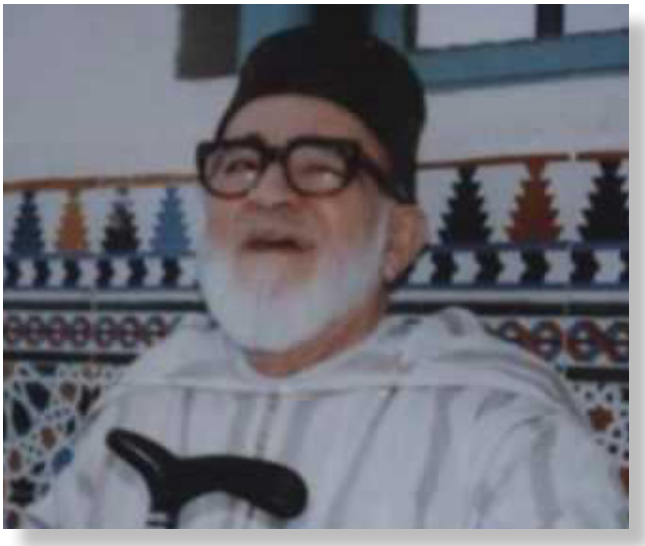

﴿٤٦﴾ ممن لقيتُهم في الحج الشيخ محمد جميل غازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان شيخـًا سلفيـًا له ردود على انحرافات المتصوفة.

﴿٤٧﴾ كان الشيخ محمد جميل غازي جاراً للشيخ عبدالحليم محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان على علاقة حسنة معه، وهذا شأن النصحة العقلاء الذين لا يحوِّلون الخلاف إلى خصومة.

﴿٤٨﴾ كنت أحضر محاضرات الشيخ محمد جميل في الحج فيبهرنا بالاستشهاد بالآيات مع ذكر أرقامها من حفظه، وهو أول من رأيته يستخدم هذه الطريقة.

﴿٤٩﴾ صورة الشيخ محمد جميل غازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتاريخ وفاته ١٩٨٨م

﴿٥٠﴾ وممن كنت ألقاه في الحج: شيخنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي، وكان له مخيمٌ يشترك معه فيه الشيخ عبدالله بن غديان والشيخ عبدالله بن قعود رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ

﴿٥١﴾ وكنتُ أرى من تقدير الشيخين له وحفاوتهما به الشيء العجيب، وإنما يعرف أقدارَ الكبار: الكبارُ ومثلهم.

﴿٥٢﴾ كان لدى الشيخ عبدالرزاق عفيفي اقتدار في تبسيط المعلومة وتوضيحها، ومما حدثني عنه الشيخ ابن منيع قال: درَّسنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي في المعهد العلمي وفي الكلية وفي المعهد العالي للقضاء

﴿٥٣﴾ وكان شرحه لنا في المعهد غير شرحه في الكلية غير شرحه في المعهد العالي للقضاء، ونجد عنده في كل مرحلة ما لم نكن نجده في غيرها.

﴿٥٤﴾ وله رسوخ في العقيدة والأصول، قال لنا: قرأت التدمرية مرات كثيرة، وفي كل مرة أجد فيها مالا أجده في القراءات السابقة.

﴿٥٥﴾ وكان والدي يدرُس عليه الأصول في المعهد العالي ويقول لي: كأن كتاب الإحكام للأمدي مؤلفٌ لعبدالرزاق عفيفي وعبدالعال عطوه، لاقتدارهما على تحليله.

﴿٥٦﴾ وكان علمه من تَفكِّره وليس من تذكِّره، ولذا قال عنه شيخنا ابن عقيل الظاهري: الشيخ عبد الرزاق عنده علم نفسِه، وغيره عنده علم غيرِه.

﴿٥٧﴾ وكان مبدعـًا وليس مكرراً، ولكنه مع رسوخه العلمي ومتانة تقريره إلا أنه لم يؤلف؛ إما لعدم قناعةٍ بالتأليف، أو أنه لم يُفتح عليه فيه.

﴿٥٨﴾ لقيتُ الشيخ عبدالرزاق وقد كبر وصار يستروح للحديث عن الماضي، فحدثنا عن حجهم قديمًا -ويبدو أنها الحالة التي بدأت تتلبَّسني الآن-.

﴿٥٩﴾ قال: قدِمنا منى، وكان معنا حسن البنا قبل أن يشتهر، وكان فيها بيوت تؤجَّر لكن الذي سكنَّا عنده قدَّرنا ولم يأخذ علينا أجرا. فقلت باستغراب: كيف يؤجرون في منى بيوتًا وهي مشعر؟ فلم يعجبه سؤالي وقال: إسألهم إنتا، وكان فيه رحمه الله صرامة.

﴿٦٠﴾ لحظتُ فيه إعجابا وتعظيمًا لابن حزم فذكرنا له شذوذاته، فقال: نعم ولكن شذوذاته وأخطاءه منكشفة بادية عورتها.

﴿٦١﴾ ومما لحظتُه: أن الشيخ عبدالرزاق لم يكن يرى الرمي ليلًا، ويقول: كل يوم ينتهي حكمه بغروب شمسه، وما بعد الغروب تابع لليوم الذي بعده، ولا يُستثنى من ذلك إلايوم عرفة.

﴿٦٢﴾ ثم علمتُ أنه يتوسع في جمع الرمي كله في آخر يوم.

﴿٦٣﴾ وكان يرى أن الرمي يوم النحر إنما يبدأ بعد طلوع الشمس ومن تعجل من مزدلفة فلا يرمي قبل ذلك.

﴿٦٤﴾ وسألناه عن حال بعض الحجاج الذين يتعجلون قبل وقت التعجّل ويفرّطون في بعض الواجبات فضحك وقال: الحجة صحيحة ولكنها جذماء مقطعة الأطراف.

﴿٦٥﴾ صورة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى عام ١٤١٥هـ

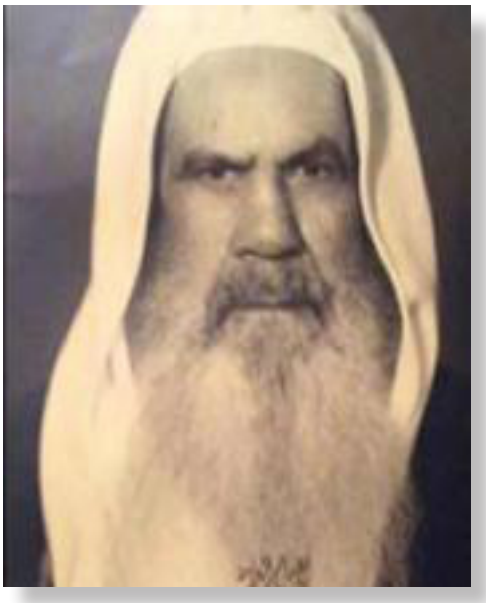

﴿٦٦﴾ وبقيتْ صُبابةٌ من شجون الحديث، وذكرى من ذكرياته، أستتمُها إليكم إن شاء الله.

﴿٦٧﴾ وممن لقيتُهم في الحج: شيخنا أبو محمد عبدالجميل بن عبد الحق الهاشمي العمري، المشهور بأبي تراب الظاهري المولود عام ١٣٤٣هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿٦٨﴾ وكان هذا اللقاء بترتيب وصحبة أخي الشيخ د. عبد المحسن العسكر، وهي إحدى إلطافاته الكثيرة إليَّ.

﴿٦٩﴾ زرنا الشيخ أبا تراب في شقته في جدة فإذا بيته مكتبته، وهو معتكف فيها مع العلم اعتكاف الرهبان في صوامعهم.

﴿٧٠﴾ وكان أمام كرسيه طاولة صغيرة متطامنة علمتُ أنه يكتب كتبه ومقالاته عليها، فعجبتُ كيف يتدلى لها ليكتب أو يقرأ.

﴿٧١﴾ كيف أن كُتُب الشيخ التي تربوا على الخمسين كتاباً، ومقالاته وبرامجه الكثيرة ولِدت على هذا المكتب الصغير المتواضع.

﴿٧٢﴾ وفي هذه الزيارة أجازني بمروياته وفيها ثبت والده الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي أجاز به شيخنا ابن باز ولا أعلم للشيخ إجازة من غيره.

﴿٧٣﴾ حدَّثَنا عن درس والده في الحرم والدروس التي كانت في حصوات الحرم وأروقته.

﴿٧٤﴾ حدَّثَنا عن رحلته إلى مصر ولقائه مع الكوثري فيها، وأن الكوثري كان يقول له: لأحنفنك يا أبا تراب، أي سأجعلك حنفيـًا وليس ظاهريا.

﴿٧٥﴾ وكان لديه ثروة ثمينة من الذكريات واللقاءات والأخبار، ومعرفة العلماء من أمصار العالم الإسلامي.

﴿٧٦﴾ فقد ولد ونشأ في الهند ودرس على علمائها، ثم درس على والده في مكة والتقى بعلماء مكة والوافدين عليها.

﴿٧٧﴾ ثم رحل إلى مصر واليمن والمغرب، وغيرها ولقي علماء تلك البلاد وزار خزائن كتبها.

﴿٧٨﴾ ولو قدر الله معه لقاء في مثل برنامج صفحات من حياتي مع أخي د. فهد السنيدي لكانت حلقاته ثروة تاريخية نادرة.

﴿٧٩﴾ وفي زيارتنا تلك كان قد ثقل وظهر عليه الضعف، ثم توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٤٢٣هـ

﴿٨٠﴾ إجازة الشيخ أبو تراب الظاهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

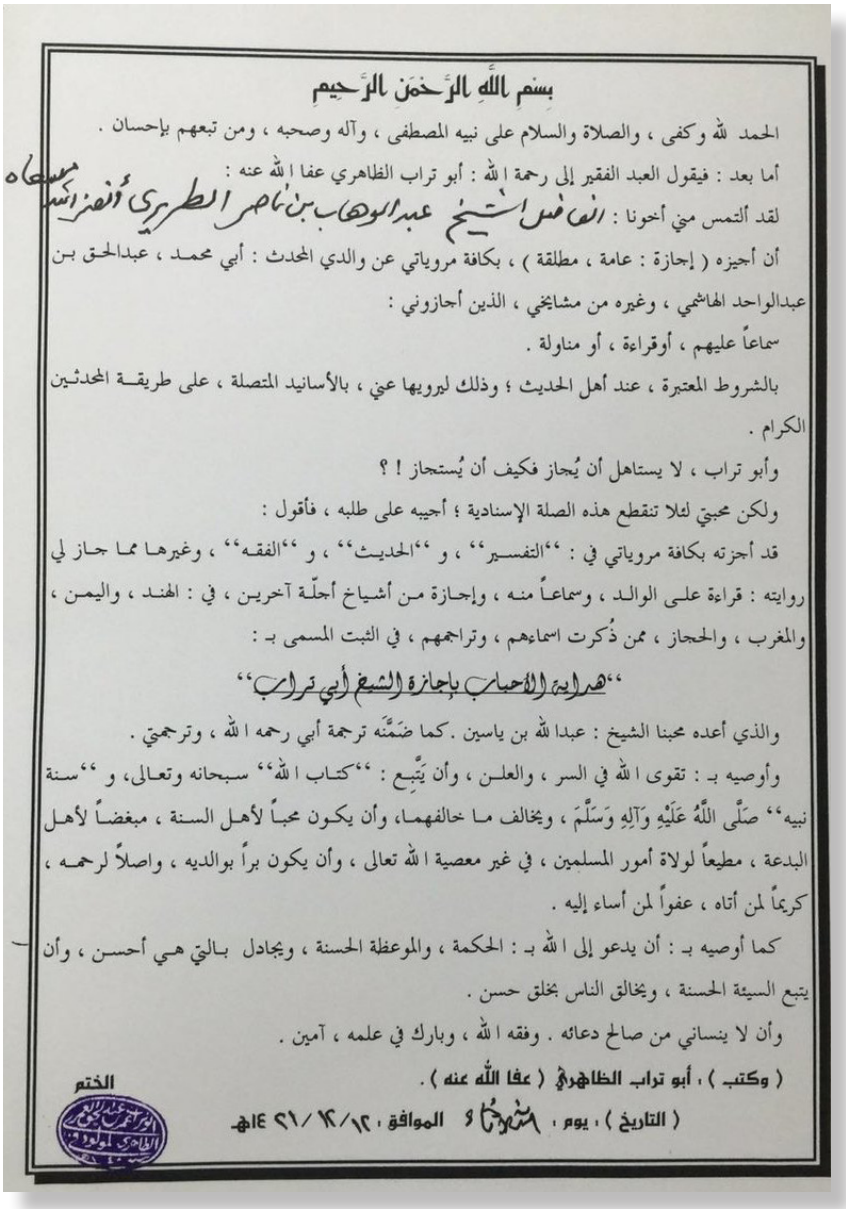

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، وآله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد : فيقول العبد الفقير إلى رحمة الله : أبو تراب الظاهري عفا الله عنه :

لقد ألتمس مني أخونا : الفاضل الشيخ عبدالوهاب بن ناصر الطريري أفضل الله مسعاه

أن أجيزه (إجازة : عامة ، مطلقة) ، بكافة مروياتي عن والدي المحدث : أبي محمد ، عبدالحق بن عبدالواحد الهاشمي ، وغيره من مشايخي ، الذين أجازوني :

سماعاً عليهم ، أوقراءة ، أو مناولة .

بالشروط المعتبرة ، عند أهل الحديث ؛ وذلك لرويها عني ، بالأسانيد المتصلة ، على طريقة المحدثين الكرام .

وأبو تراب ، لا يستاهل أن يُجاز فكيف أن يُستجاز ! ؟

ولكن محبتي لئلا تنقطع هذه الصلة الإسنادية ؛ أجيبه على طلبه ، فأقول :

قد أجزته بكافة مروياتي في : ''التفسير'' ، و ''الحديث'' ، و ''الفقه'' ، وغيرها مما جاز لي روايته : قراءة على الوالد ، وسماعاً منه ، وإجازة من أشياخ أجلّة آخرين ، في : الهند ، واليمن ، والمغرب ، والحجاز ، ممن ذُكرت اسماءهم ، وتراجمهم ، في الثبت المسمى بـ :

''هداية الأحباب بإجازة الشيخ أبي تراب''

والذي أعده محبنا الشيخ : عبدالله بن ياسين . كما ضَمَّنَه ترجمة أبي رحمه الله ، وترجمتي .

وأوصيه بـ : تقوى الله في السر ، والعلن ، وأن يَتَّبِع : ''كتاب الله'' سبحانه وتعالى ، و ''سنة نبيه'' صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ويخالف ما خالفهما ، وأن يكون محباً لأهل السنة ، مبغضاً لأهل البدعة ، مطيعاً لولاة أمور المسلمين ، في غير معصية الله تعالى ، وأن يكون براً بوالديه ، واصلاً لرحمه ، كريماً لمن أتاه ، عفواً لمن أساء إليه .

كما أوصيه بـ : أن يدعو إلى الله بـ : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتي هي أحسن ، وأن يتبع السيئة الحسنة ، ويخالق الناس بخلق حسن .

وأن لا ينساني من صالح دعائه . وفقه الله ، وبارك في علمه ، آمين .

(وكتب) : أبو تراب الظاهري (عفا الله عنه) .

(التاريخ) : يوم : الثلاثاء الموافق : ٢١/١٢/١٤٢٣هـ

الختم

﴿٨١﴾ صورة ثبت الشيخ عبد الحق الهاشمي والد الشيخ أبي تراب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

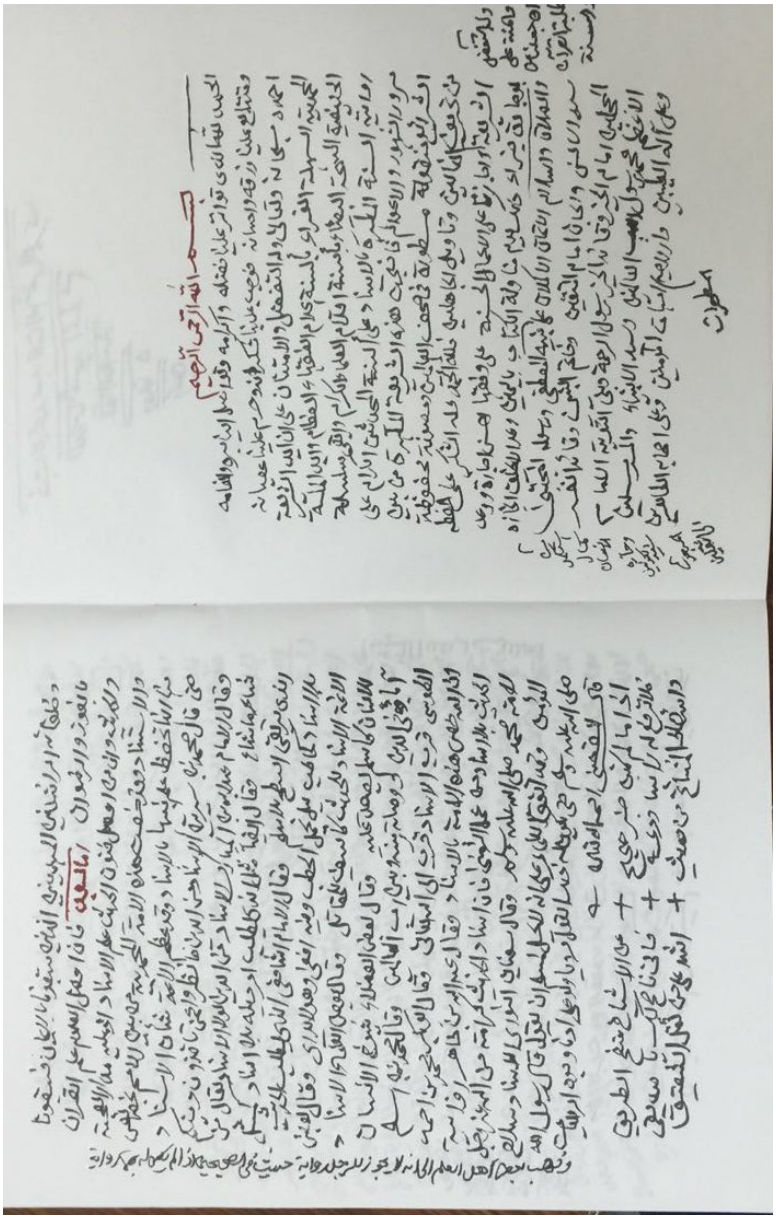

﴿٨٢﴾ صورة الشيخ أبي تراب الظاهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿٨٣﴾ وفي الحج كان اللقاء الوحيد بالشيخ المحدِّث محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿٨٤﴾ كان الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد صار عالِمًا نجمًا، فقد ملأ الدنيا علمًا، وكانت كتبه كما وصفها شيخنا بكر أبو زيد: كأنها شيكات، تطير بأيدي الناس.

﴿ ٨٥ ﴾ كان الشيخ مسيرة من الدأب المتواصل والعشرة المستديمة للعلم، وكان المترددون على المكتبة الظاهرية بدمشق لا يظنون إلا أنه أحد موظفيها لطول لبثه فيها.

﴿ ٨٦ ﴾ وكان في ذروة مجده العلمي له معجبون وأتباع، ولذا كانت رؤيته حلمًا، أما أن تظفر منه بلقاء أو كلمة فذلك شيء سترويه لكل من تلقاه بزهو.

﴿ ٨٧ ﴾ ولذا كنت من المنجفلين إلى المخيم الذي فيه الشيخ، أملًا ورغبة في رؤيته والاستماع إليه.

﴿ ٨٨ ﴾ وعند الخيمة رأيت شبابًا مجتمعين يطلبون ما أطلب وفيهم من ينظر عبر فتحات في ستور الخيمة لعله يراه.

﴿ ٨٩ ﴾ صلينا الظهر في المخيم ثم ألقى الشيخ كلمة عامة لم يعلق بذهني الآن منها شيء، فانتظرتُ الأسئلة متشوفًا إلى حوارات الشيخ وتحقيقاته العلمية.

﴿٩٠﴾ وكانت المفاجأة يوم ألقيت الأسئلة وإذا هي أسئلة موجَّهة لنقد الجماعات، وأحسب أن الإخوان كانوا هم المستهدفين، وكان الشيخ يجيب باستطراد وتفصيل.

﴿٩١﴾ فكتبت ورقة إلى المقدِّم أذكرها تمامًا: يا أبا إسحاق هذه الجموع جاءت لتسمع علم الشيخ، أما هذه القضايا فيستطيع الحديث عنها كل تلاميذ الشيخ.

﴿٩٢﴾ ورمقتُ الورقة وهي تتنقل من يد إلى يد، حتى وصلتْ ليد أبي إسحاق فنظر إليها نصف نظرة ثم نحاها جانبا.

﴿٩٣﴾ انتهت الأسئلة وبقي شوقي أن أصافح الشيخ وألثم محياه، وما إن قام الشيخ حتى ازدحم حوله جم غفير، فتلقيته من أمامه وصافحته ولثمتُ محياه.

﴿٩٤﴾ وكان خلفه الشيخ أبو إسحاق وكان حينها شابًا جلدًا يحيط الشيخ بعناية بالغة.

﴿٩٥﴾ لفت نظري مزيد عناية وتعظيم طلاب الشيخ له وقارنتها بتعاملنا مع أشياخنا ابن باز وابن جبرين والذي كان فيه احترام وحب قلبي، وتعامل بسيط عفوي.

﴿٩٦﴾ رحم الله الشيخ فقد كان تاريخـًا من الدأب والمثابرة، والصبر الطويل الجميل، وحصيلة ضخمة من الإنجاز العلمي ومجدداً من مجددي السُنة في حياة الأمة.

﴿٩٧﴾ صورة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى عام ١٤٢٠هـ

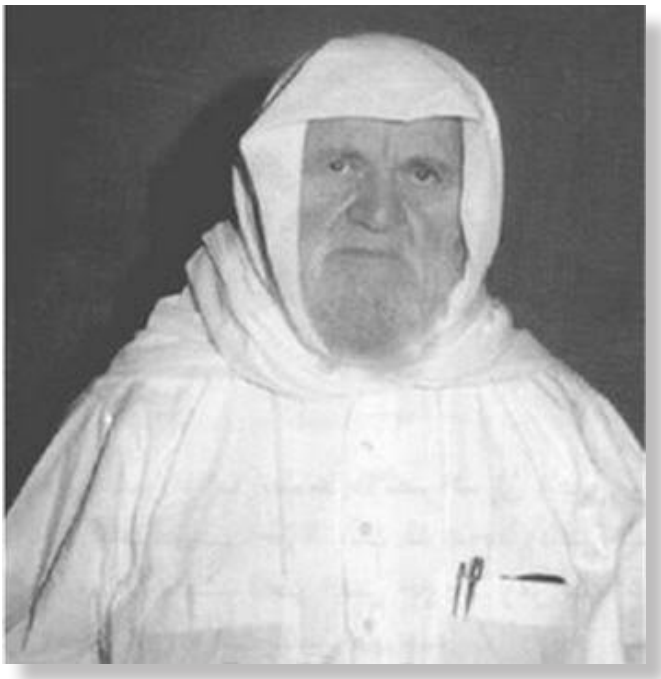

﴿٩٨﴾ وبقيت صبابة من شجون الحديث، وذكرى من ذكرياته أستتمها إليكم إن شاء الله تعالى.

﴿٩٩﴾ وممن لقيتهم في الحج الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وكان اللقاء به قبل أن يشتهر خارجيـًا، وأما محليًّا فمنذ عرفتُ العلم وأنا أعرف الشيخ عالمـًا.

﴿١٠٠﴾ وكان ذلك في مخيم الدعوة، وفي المخيم جموع من علماء مصر والسودان وموريتانيا وغيرهم، ورأيت انبهارهم بالشيخ وهم يسمعون له لأول مرة فيما أظن.

﴿١٠١﴾ ممن رأيت إعجابهم وتقديرهم له: الشيخ محمد جميل غازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان له محاضرات في المخيم، ولكنه اختار أن يكون المقدِّم للشيخ وقارئ الأسئلة عليه.

﴿١٠٢﴾ لقيت الشيخ ابن عثيمين وهو متهيئ للخروج من المخيم وبشته الداكن تحت يده، سلمت عليه فقال: نبي نروح لكلية الملك عبد العزيز داعينن ألقي كلمة عندهم.

﴿١٠٣﴾ لا أزال أتذكر الموقف والمكان وإشراقة وجه الشيخ، لموع عينيه، نصاعة أسنانه مبتسمًا، وقع هذا الكلام في نفسي.

﴿١٠٤﴾ وأتساءل اليوم ما علاقة شاب حَدَثٍ لا يعرفه الشيخ حتى يخبره بوجهته، ويتحدث معه بهذه الخصوصية، إنه أسلوب تربوي للإشعار بالأهمية لكل من يلقاه.

﴿١٠٥﴾ إنها شعائر حسن الخلق كان الشيخ يؤديها في الحياة، كما يؤدي شعائر الحج في المناسك.

﴿١٠٦﴾ لا أذكر على كثرة استنزاف الشيخ بالأسئلة أنه غضب أو انفعل أو ظهر عليه الضجر، كان يفتي باسترواح عجيب حتى كأنما تشعر أن هذه لذاذته ومتعته.

﴿١٠٧﴾ كانت ابتسامة الشيخ تشع في وجهه دائما حتى كأنها جزءٌ من ملامحه، ولا أحسب أحداً يتخيل الشيخ إلا يتخيله مبتسمًا.

﴿١٠٨﴾ ولا أحسب أحداً لقي الشيخ ولو لمرة واحدة إلا ونقش الشيخ على قلبه وسمًا من الحب.

﴿١٠٩﴾ سُئل الشيخ عن الفتوى بوجوب الانتظار بالرمي يوم النحر إلى طلوع الشمس، فقال: ينبغي أن يكون العالم ربانيًّا يتعرف حكمة الشارع في شرعه.

﴿١١٠﴾ هل يعقل أن يرخِّص الله للضعفة أن ينفروا من مزدلفة بعد نصف الليل على سعتها رفقًا بهم، ثم يجمعهم مع من خلفهم في بقعة صغيرة يتدافعون فيها!

﴿١١١﴾ صلى بنا يومًا العشاء فقرأ سورة البلد وكان المخيم مزدحمًا والجو حارًا، فشقَّ ذلك على الناس، فقام رجل بعد الصلاة وأنكر على الشيخ إطالته الصلاة. فردَّ الشيخ بأنه يقرأ بأواسط المفصل كما بيَّن ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ.

﴿١١٢﴾ ولكني لاحظت بعد ذلك أن الشيخ صار يقرأ بقصار المفصل ويخفف الصلاة، فيبدو أنه روجع وتبين له حال الناس.

﴿١١٣﴾ تأخر الشيخ إلى اليوم الثالث عشر فلما رمى الجمرات بعد الزوال أراد أن ينفر مع المشايخ قبل أن يصلي الظهر - كما صنع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فخالفه المشايخ في المخيم ورأوا إقامة صلاة الظهر في منى مراعاة لاجتماع الناس فشق ذلك عليه ،وكان يحب إصابة السنة في ذلك ولكنه وافق على مضض.

﴿١١٤﴾ وألقى كلمة قبل الصلاة بيَّن فيها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصل الظهر في منى وإنما صلاها في الأبطح قال: ولكنا سنصلي هنا موافقة للإخوة فإن الخلاف شرّ.

﴿١١٥﴾ كان الشيخ لافتًا للنظر بإشراق ابتسامته التي لا تكاد تختفي من محياه، وفي بساطته وعفويته وبذاذة هيئته التي كانت عفوية، كأنه يتكلف ألا يتكلف.

﴿١١٦﴾ ثم صار للشيخ مخيم خاص بجوار مخيم نائب المفتي سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، وكان حفيًّا به معظِّمًا لعلمه ومكانته.

﴿١١٧﴾ زرته في مخيمه وسألته عن ثمرة الخلاف في أشهر الحج هل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة أو وعشر من ذي الحجة فقال: نعم له ثمرة.

﴿١١٨﴾ ومن ذلك لو نذر أن يصوم أشهر الحج فهل يصومها كلها أم إلى عشر ذي الحجة؟

﴿١١٩﴾ وسألته عن إيجاب الدم لترك واجب فرأيت أنه يقول بذلك سياسةً لحال المستفتين.

﴿١٢٠﴾ وقال: لو قلت لكل من ترك واجبًا: عليك الاستغفار لفرّطوا في الواجبات وملأوا منى استغفارًا.

﴿١٢١﴾ صورة الشيخ محمد بن عثيمين: ابتسامته جزء من ملامح وجهه.

﴿١٢٢﴾ وكان التنقل بين هذه النوعية النادرة من العلماء، ولقاء الأكابر من أهل العلم وجبة علمية وتربوية ووجدانية أقتاتُها العام كله.

﴿١٢٣﴾ فقد كان لكل واحد منهم تميزه واختصاصه، وعند كل واحد ما ليس عند غيره، وفي كلٍ منهم خيرٌ طيبٌ كثيرٌ مباركٌ فيه.

﴿١٢٤﴾ ثم عرفت الطريق إلى مخيم الشيخ بن باز فلزمته وقصرت عن كثير من التطواف، ومن قصد البحر استقل السواقيا.

﴿١٢٥﴾ قال مسروق بن الأجدع: جالستُ أصحاب محمد ﷺ، فوجدتهم كالإخاذ (الماء المجتمع في الأرض كالغدير) فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين.

﴿١٢٦﴾ والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدتُ ابن مسعود من ذلك الإخاذ.

﴿١٢٧﴾ أقول وجالستُ العلماء فوجدتهم كما وصف مسروق، ووجدتُ الشيخ ابن باز من ذلك الإخاذ الأخير، لو قصده أهل الأرض لصَدَروا عنه رواءً علمًا وفضلاً.

﴿١٢٨﴾ وكان مجرد الجلوس إلى الشيخ في مجلسه والنظر إلى حاله وسمته يعود بفائدة وجدانية، حتى وإن لم تسمع منه علمًا.

﴿١٢٩﴾ وكنت أتذكَّر وصف الحسن البصري كلما نظرت إلى الشيخ، قالوا عنه: إن كان الرجل ليرى الحسن، لا يسمع كلامه ولا يرى عمله، فينتفع بذلك.

﴿١٣٠﴾ فإلى الحلقة القادمة والأخيرة، نستعيد فيها أحاديث ما رأيت وما سمعت في مجلس الشيخ ابن باز في الحج.

﴿١٣١﴾ بعض ذكرياتي لأيام منى في مخيم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿١٣٢﴾ كان من سعادة عمري أني كنت أجلس أيام منى في مخيم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيها أفدتُ أهم ما أفدتُه منه.

﴿١٣٣﴾ كنت أرى في هذا المخيم كرم الشيخ، وحكمة الشيخ وعلمه وحلمه وطاقته النفسية المذهلة.

﴿١٣٤﴾ كان باب مخيمه مفتوحًا كأنما يدعو الناس ويرحب بهم، كان المخيم يمتلئ عن آخره بالناس ويوضع فيه الطعام لجميع الحاضرين.

﴿١٣٥﴾ كنت ألاحظ تنوع القاصدين لمخيم الشيخ من كل الجنسيات عربا وعجما، وهذا يظهر شخصية الشيخ العالمية.

﴿١٣٦﴾ في مخيم الشيخ كنت أرى بعض الضعفه الذين يحج بهم الشيخ على حسابه وكأنه يتحرى قول نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبغوني ضعفاءكم».

﴿١٣٧﴾ كان مخيم الشيخ مقصد أهل العلم، هناك رأيت المشايخ عبدالرزاق عفيفي، وعبدالله بن قعود، وعبدالله المطوع، ونسيب الرفاعي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وغيرهم.

﴿١٣٨﴾ رأيته أول ما نزل المخيم يوم التروية في منى وجلس كان أول ما فعله أن عين مؤذنًا للمخيم وأوصاه بتعاهد الوقت.

﴿١٣٩﴾ كانت الصلاة تقام في المخيم فيؤمنا الشيخ ويلقي كلمات بعد الصلاة غالبًا ثم يجلس للإجابة على الأسئلة.

﴿١٤٠﴾ وربما تأثر الشيخ وهو يتحدث، ولا أزال أتذكره وكأني أراه الآن رافعا إصبعة يحكي بتأثر وبكاء قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم هل بلغت اللهم أشهد».

﴿١٤١﴾ كنت أعجب من صبر الشيخ على الأسئلة رغم تكرارها وإلحاف السائلين فيها، وكانت طاقته وهو يجيب على آخر سؤال كحاله وهو يجيب على أول سؤال.

﴿١٤٢﴾ كان أكثر الأدلة ترددا على لسانه وهو يجيب على أسئلة الحجاج ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، لا أكاد أحصي كم يقولها.

﴿١٤٣﴾ له أقتدار عجيب على تجريدالسؤال الطويل الشائك من الأوصاف غيرالمؤثرة والصمود إلى محل الإشكال بحيث نفاجأ بقرب تناوله للجواب الذي ظنناه بعيدا.

﴿١٤٤﴾ أتاه ناس فسألوه عن امرأه وقفت بعرفه ثم جُنَّت هناك، فاستغرب الشيخ السؤال، وأطال التأمل وطلب حاشية الروض المربع، وبعد المغرب زاره الشيخ بن عثيمين فذاكره السؤال.

﴿١٤٥﴾ سأله سائل عن النفرة من مزدلفة بعد منتصف الليل فقال له جائز، فقال: يا شيخ لسنا كلنا ضعفة، فقال: كل الناس ضعفه.

﴿١٤٦﴾ سأله سائل فقال ما حكم ارتداء الذهب المحلّق للنساء، فضحك الشيخ وقال: الارتداء لما يلبس على الظهر، ثم أجابه.

﴿١٤٧﴾ سأله شاب عن الأذان الأول لصلاة الجمعة والقول بأنه بدعة فغضب وقال: القول بأنه بدعة قول قبيح، فيه نسبة الصحابة للبدعة.

﴿١٤٨﴾ سأله أخي الشيخ علي المري وأنا معه عن طواف الحائض إذا سارت رفقتها فأجاب بفتوى شيخ الإسلام، أن تتحفظ وتطوف.

﴿١٤٩﴾ أتى إلى الشيخ شاب ومعه جهاز تسجيل يطلب إجابات على أسئلة من أمريكا، فاحتفى به وقام معه للمجلس الخاص، كانت عالمية الشيخ تمتد للبعيد والقريب.

﴿١٥٠﴾ ربما أعقب الشيخ في الإجابة على الأسئلة بعض المشايخ، وأكثرُ من كنت أراه يعقبه الشيخ عبد الله ابن غديان رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

﴿١٥١﴾ في يوم عرفة كنتَ ترى مسيرَهُ تطبيقًا عمليًا ليوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء بسواء، لا تكاد تلحظ ثانية تُفلت منه دون أن يرحلها بصالح عمل: ذكر ودعاء وإجابة سائل.

﴿١٥٢﴾ في يوم عرفة يتناول الشيخ غداءه في المخيم في زحام الناس كأنه يتعبد لله بالمسكنة مع الناس، ويزدحم الناس على سفرته برغم كثرة السُفر الموضوعة.

﴿١٥٣﴾ في عصر يوم عرفة وفي انشغاله بما هو فيه من الدعاء أتى إليه أحد كبار السن بصبي صغير ليسلِّم عليه فأقبل الشيخ على الصبي وجعل يلاطفه ثم قال من ربك؟ من نبيك؟ وجعل يدعو له. يا لله أي سعة في النفس هذه؟ كأن الشيخ يتعبد لله بإدخال السرور على قلوب من حوله.

﴿١٥٤﴾ رأيته عند النفرة من عرفة قبل الغروب وهو في الحافلة في غمار الناس مستغرقًا في دعائه، فما أحسبني رأيت حالاً هي أعظم عِظةً لقلبي من حاله تلك.

﴿١٥٥﴾ دخلت المخيم يوم العيد ضحى فإذا الشيخ بإحرامه وله لَهَج بالتلبية، لأنه لم يرم جمرة العقبة بعد، وكان يرى استمرار التلبية إلى الرمي.

﴿١٥٦﴾ لقيته مرة بالليل عند جمرة العقبة، فرمقت طريقته في الرمي وتحريه لمكان الوقوف عند الجمرة، كحديث ابن مسعود في صفة وقوف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿١٥٧﴾ في كل السنوات التي جلست فيها في مخيم الشيخ لاحظت أن الشيخ يتأخر إلى اليوم الثالث عشر وأحسب أن هذا كان دأبه دائمًا.

﴿١٥٨﴾ كان اليوم الثالث عشر فرصة للاقتراب أكثر من الشيخ لقلة الحضور فنكون معه كأننا في جلسة خاصة.

﴿١٥٩﴾ من أكثر ما استفدتُه منه في هذا المخيم رؤية التطبيق العملي لحسن الخلق والقدرة على احتواء الناس على اختلاف أجناسهم وأخلاقهم وأغراضهم.

﴿١٦٠﴾ رغم رهق العمل الذي يتحمله وكثرة الأسئلة التي يجيبها وكثرة من في المخيم ممن هم في ضيافته فإني لم أره يومًا متوترًا أو متحفزًا. وإنما تراه مسترخيًا عليه السكينة كأنه لا يُكرثه شيء، يسع الجميع بره ولطفه.

﴿١٦١﴾ عندما تقدم له القهوة في الصباح في المخيم يدعو الناس بنفسه للقهوة والتمر فتسمعه ينادي: تفضلوا .. القهوة التمر. كأنه يجد السعادة في إكرام من عنده.

﴿١٦٢﴾ سأله رجل عن حاج دخل مخيمًا وجلس فيه وأكل معهم وليس منهم فقال: ما داموا يرونك فهذا إذن منهم. وواضح أن لكرم الشيخ أثرًا في هذه الفتوى.

﴿١٦٣﴾ تطبيقه للسنن وفضائل العمل راسخ في حياته، تراه يطبقه بشكل عفوي لا تكاد تُفلت سُنة عن محلها.

﴿١٦٤﴾ رأيته يكلم بالهاتف مكالمة يبدو أنها مهمة فلما سمع الأذان قال لمن يكلمه: أذَّن عندنا، سنجيب المؤذن ثم نحَّى الهاتف واستغرق في متابعة الأذان.

﴿١٦٥﴾ حج الشيخ ٥٢ حجة ولم ينقطع عن الحج منذ عام١٣٧٢هـ إلا في عام١٤١٩هـ لمرضه، وكأنما كان غيابه عن الحج ذلك العام إيذانـًا بقرب غيابه عن الحياة.

﴿١٦٦﴾ صورة الشيخ وهو يصلي صلاة عيد الأضحى في الرياض في السنة التي لم يحج فيها ١٤١٩هـ.

﴿١٦٧﴾ صورة الشيخ يوم عيد الأضحى في السَنة التي لم يحج فيها وهي فيما أظن آخر صورة له، توفي بعدها بـ ٤٧ يوما.

﴿١٦٨﴾ رحم الله الشيخ عبد العزيز بن باز وغفر له وأعلى في درجات الجنة نزله.

التصميم الداخلي للكتاب

للتواصل:
@abuhanyean
00201019530152
القاهرة - جمهورية مصر العربية
TharwatSultan@yahoo.com